قراءة في رواية سفاية الموسم (الدّروب المتقاطعة)
محمد مفلاح من منظور ذرائعي

الدكتور عبد الرحمن بن زورة، جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

مقدمة:

إنّ التّحوّل المتسارع الحاصل في عالم الرّواية العربية،أحدث ديناميكية نقدية وثابة، يسّرت سبل الممارسات النّقدية المرافقة للحركة الإبداعية عموما، وبرز ذلك بشكل جليّ خاصّة فيما تداولته المناهج الحداثية التي كثّفت من إجراءاتها المشتغلة على الموضوعات المستجدّة من قبيل عناصر بناء النّص، مثل المكان والزّمان والفضاء والشّخصية والحدث والسّرد والتّبئير والعتبات النّصية، و قراءة العناوين ومعالجة قضايا الشّعريّة والجمالية والتّناص والتّكرار والانزياح وهلمّ جراّ، فقد نالت الأعمال الكثيرة للكاتب الرّوائي الجزائري محمد مفلاح حظّا مرموقا من العناية والاهتمام من قبل النّقاد والدّارسين،تجسّدت في تراكمات الأطاريح الجامعية الأكاديمية من رسائل ماستر وماجستير ودكتوراه ومقالات وغيرها، لا مجال لذكرها في هذا المقام.

ورواية "سفاية الموسم" هي الرّواية التي تستهدفها هذه الورقة البحثية والتي تحاول ولوج "دروبها المتقاطعة" من بوابة القراءة الذّرائعية،أملا في توسّل جملة فقط من استراتيجياتها الكثيرة المتعدّدة مثل (استراتيجيات الفضاءات العينية والمنظورة في النّص،و التّبئير الفكري، والاحتمالات المتحركة ،و الصّراع ، والحوار ، والمدخل السّلوكي،و البناء الجمالي والبلاغي، و المدخل العقلاني، و درجة العمق والانزياح نحو الخيال، و الموسيقى الشعرية، و الخلفية الأخلاقية ، و تجنيس النصوص، و البؤرة الأساسية الثابتة في النصوص، و المدخل العقلاني..)[1] بغية تسليط الضّوء على فضاءات العتمة التي خيمت بسوداويتها على سماء الجزائر في سنين الجمر وعشرية الظّلام.

بسط منهجي :

[1] عقيلة مراجي (النقد الذرائعي. عند عبد الرزاق الغالبي)
https://www.almothaqaf.com/b/readings/945792-5

من المفيد جدّا تجلية أمر بالغ الأهمية، ويتعلّق ذلك بتبرير اختيار القراءة الذّرائعية، فعلى الرّغم من طواعية واستجابة كثير من المناهج الحداثية لعملية تحليل الخطاب الرّوائي، إلاّ أنّنا آثرنا هذه المرّة إجراء ذرائعيا[2] ؛ لأنّنا نرى في هذا المسلك إحاطة وشمولية وطواعية قد لا تتوفر عليها بعض المناهج المستعصية والتي تلوي عنق النّص، أو تمارس عليه عنفها،أما «المنهج الذرائعي هو منهج يواجه النّص الأدبي انطلاقا من رؤية شمولية تنطلق من ظاهر النص، الشكل ،لتصل إلى أعمق نقطة فيه، فاسحة المجال لرصد الخلفيات الأخلاقية والنفسية والسلوكية عند الكاتب وكذلك رصد خصوصياته الإبداعية الفنية والجمالية والأسلوبية، وذلك عبر عدّة مداخل محدّدة ... واضعه هو عبد الرزاق الغالبي وقد ابتدأ الكاتب بوضع ثلاث مجلدات حول هذا المنهج ألحقها فيما بعد بمجلدين آخرين»[3] إذ تتيح الذّرائعية لكلّ من النّص وقارئه مرونة في التّعامل ممّا يحدث تشابكا ذهنيا ووجدانيا بينهما يفضي إلى المتعة واللّذة والإدهاش لدى المتلقي «فالنص والقارئ يوجدان في وضعية ديناميكية لم توجد قبل، وإنّما تظهر داخل سير القراءة كشرط لتعاقد مع النص»[4]، وبهذا الانفتاح ،وبهذه الشّمولية والإحاطة في التّناول«كانت الذّرائعية، الحل الأمثل لكونها رؤية نقدية تطبيقية مستندة على أطر ومداخل علمية لكل شيء يذكر من خلالها ... فهي مثقلة بنظريات نفسية وفلسفية تساعد المتلقي والناقد بالدخول إلى أي نص بشكل ذرائعي علمي، وباعتمادية إدراكية واعية بالتحليل العميق لعناصر العمل الأدبي المتقن، بشكل دقيق ومدروس ... ولا تقوم الذّرائعية بتخريب قشرة العمل الأدبي الخارجية الجمالية، كما تفعل بقية النظريات

---

[2] للنّقد الذّرائعي رواده من العرب في طليعتهم: النّاقد العراقي غالي عبد الرزاق عودة، والناقدة الكاتبة السورية عبيرخالد يحي ،والناقد المغربي عبد الرحمن الصوفي، والناقد حسين علي عوفي،والناقدة عقيلة مراجي.. الناقدة الذرائعية المغربية مجيدة السباعي....

[3] ينظر، عقيلة مراجي،النقد الذرائعي.. عند عبد الرزاق الغالبي.https://www.almothaqaf.com/b/readings/945792-5

[4] محمد صادق عفيفي،القصة المغربية الحديثة،منشورات مكتبة الوحدة العربية،بيروت ط 1،ص 25

النقدية، بل تهتم بالشكل والمضمون بشكل متواز و احترام واتّزان نقدي »[5] وهو ما شجّعنا على اعتماد المرونة خلال سبر أغوار الرّواية، و تقصي مسالكها الوعرة، ودروبها المتقاطعة، على ضوء بيئتها المنتجة ومعايشة الرّوائي لها.

عالم الرواية: في رصيد الروائي محمد مفلاح إلى الآن سبعة عشر رواية هي:

1- (الانفجار) التي نال عنها الجائزة الثانية في مسابقة نظمتها وزارة الثقافة سنة 1982 بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال.

2- هموم الزمن الفلاقي التي نال عنها الجائزة الأولى بمناسبة الذكرى الخمسين للثورة (1984).

3- شعلة المايدة (وهي رواية تاريخية عن تحرير مدينة وهران في العهد العثماني).

4-الانهيار.5- عائلة من فخار.6- سفاية الموسم.7- أيام شداد. 8- بيت الحمراء.9- خيرة والجبال .10-همس الرّمادي.11- زمن العشق والأخطار.12-الكافية والوشام.13- انكسار.14- سفر السالكين. 15- الوساوس الغربية.16- هوامش الرحلة الأخيرة.17- شبح الكليدوني.[6] بالإضافة إلى ثلاثة مجاميع قصصية هي: (السائق) و(أسرار المدينة)، (الكراسي الشرسة) وأعمال أخرى كثيرة ومتنوعة...

المستوى البصري:

يضمّ هذا المستوى مداخل الفضاءات العينية والمنظورة في النّص.

العتبة البصرية الأولى الغلاف:

أضحى الغلاف بدوره نصّا موازيا،وفضاء نصيّا له اعتباره، وعتبة يدرجها النقاد ضمن مسار الولوج إلى ساحة العمل الأدبي، فللغلاف أبعاده الفنية والجمالية، ومعاييره الاختيارية خلال التصميم ،فهو ـ على حد تعبير حميد لحميداني ـ فضاء لا يتشكل «إلاّ عبر مساحة الكتاب وأبعاده غير أنه مكان محدود ،ولا علاقة له بالمكانالذي يتحرك فيه الأبطال، فهو مكان تتحرك فيه - على الأصح- عين القارئ، إنّه بكل بساطة فضاء

[5] عبد الرزاق عودة الغالبي،الذرائعية في التطبيق في تحليل النصّ الأدبي ،مؤسسة الكرمة للتنمية الثقافية والاجتماعية،2017.

[6] محمد مفلاح ، رواية سفاية الموسم. صفحة 131.

الكتابةالرّوائيةباعتبارهاطباعة»[7] وقد توشّحت رواية مفلاح في غلافها الخارجي الأمامي بصورة لشارع عريض طويل ممتد (لعله شارع الوئام، بؤرة الاستقطاب والتّطلّع على حركة المارّة،يظهر فيه مقهى مصفوف الكراسي، يفترض أن يكون "مقهى الصّمود" لصاحبه "جلول المنصور" حيث يجلس أربعة رجال،يظلّلهم السّواد، على الرغم من البياض الناصع الذي ينير الطّريق ويمرّ بجانبهم خامس لهم مواصلا طريقه بمحاذاة أشجار الفيكوس، وفي الصفحة ذاتها، في أعلاها يظهر بوضوح اسم الرّوائي "محمد مفلاح" وأسفل منه يتجلّى العنوان باللّون الأحمر"سفاية الموسم" أمّا في أسفلها فيتحدّد الجنس الأدبي"رواية"مرفقا بشعار دار النّشر (دار القدس العربي).

وفي الجهة الخلفية للرّواية تعلو الصّفحةَ صورةُ فوتوغرافية للرّوائي،متبوعة بملخّص مركز هذا نصّه"في رواية سفاية الموسم،يغوص محمد مفلاح في أعماق المجتمع الجزائري خلال مرحلة التّحولات الجذرية ،ويقترب أكثر من هموم النّاس الذين يكتب دوما لهم وعنهم بكثير من الصّدق والمحبّة. ويقدم فيها الرّوائي لوحات سردية عميقة ،وبلغة إيحائية ،مستعرضا عوالم أشخاص حائرين جمعهم المقهى وأماكن أخر،ثمّ فرقت سبلهم صدمة الحياة الجديدة ."رواية تستحق القراءة والتأمّل، وقد عكست عتمة الألوان المهيمنة على الجالسين أمام المقهى معاني غير التي حملها الرّجل ذو السترة الزّرقاء (المناضل نذّار السّفاية) المتّجه نحو الطّريق الطّويل.

ويعاد ذكر اسم عنوان الرواية "سفاية الموسم" باللّون الأحمر واسم الرّوائي "محمد مفلاح" باللّون الأسود ،ثم يُشار في الأسفل إلى مجموع إصدارات الكاتب الرّوائية التي بلغت 17رواية هي: الانفجار ،الانهيار، عائلة من فخار، سفاية الموسم، أيام شداد،بيت الحمراء،خيرة والجبال، شعلة المايدة ،همس الرّمادي،زمن العشق والأخطار، الكافية والوشام، انكسار، سفر السّالكين، هموم الزمن الفلاقي، الوساوس الغريبة، هوامش الرحلة الأخيرة،شبح الكليدوني.

[7] حميدالحميداني،بنيةالنصالسرديمنمنظورالنقدالأدبي،المركزالثقافيالعربي،المغرب،2000 ص5.

ثمّ يُشار أيضا إلى دار النّشر المذكرة سابقا.[8]

العتبة البصرية الثّانية، عنوان الرّواية:

العنوان عتبة لافتة، ومكوّن ثمين ووازن، وهو من« العتبات التي لم تعد مجرّد علامات نصّية بكماء، خالية من التّشويق والإثارة بل غدت خطابات أدبية غنيّة الدّلالات وملفوظات إشارية ذكيّة التّبلور»[9] لأنّه يشكّل نصّا موازيا ذو معونة معرفية،ومفتاحا سحريا يمكّن المتلقي من ولوج مغاليق النّص، والتّسلل إلى مجاهيله ولذلك راج الاهتمام بهذا المفهوم في علم « العناوين والعنونة (Titrologie) باعتباره منهجا نصّيا مشتغلا على المفاتيح الأساسية للنصوص، والعنوان واحد من أهم المفاتيح التي تخضع للتحليل والمساءلة»[10] والكشف عن حقيقة النّص ، ولو في مرحلة أولية؛ لأنّه أوّل ما يستقطب اهتمام القارئ ولذلك يصفه رولان بارث بقوله "العنوان ثريا النص" ،وتلخيصا لما سبق يغدو العنوان « مرآة مصغّرة لكلّ ذلك النّسيج النّصي»[11] ورواية مفلاح ذات عنوانين، وعلى الرّغم من أنّ العنوان الثّاني موضوع بين قوسين (مسيّج) بإطارين إلاّ أنّ تجلياته متعالية أكثر في سماء الرّواية، و ثرياه مضيئة لأخاديد المسافات المظلمة، وهل يعجز العنوان الواحد أحيانا على حمل الرّواية فترمي بثقلها على عنوانين؟ وقد جعل محمد مفلاح عنوانه المسيّج جملة اسمية مكوّنة من مبتدأ له خبره (الدّروبُ المتقاطعةُ) في حين اكتفى في العنوان الأوّل (سُفاية الموسم) بإيراد المبتدأ معرفا بالإضافة ومن ثم يمكن اعتبار العنوان الثاني (الدّروب المتقاطعة)جملة اسمية في محل رفع خبر للمبتدأ (سفاية الموسم)العنوان الأوّل ،وهو مشتق من الفعل (سفا) الذي له علاقة مباشرة مع

---

[8] ينظر رواية سفاية الموسم ،صفحة الغلاف الأخيرة.محمد مفلاح ،

[9] عبد المالك أشهبون،العنوان في الرّواية العربية،محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع،سورية دمشق،ط1،2011، ص6

[10] ضيف الله بشير، سيميائية العنونة في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج، ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب نشر بتاريخ 14 مارس 2009 ،تاريخ الدخول 2017/10/30 الساعة 16.22.

[11] شعيب حليفي،(النص الموازي للرّواية:إستراتيجية العنوان)، مجلة الكرمل، العدد 46، السنة،1992،ص:84-85.

شخصية بارزة في الرّواية وهو "نذار السّفاية " المذكور في الصفحة 123 والذي يقول عنه نادل مقهى الصّمود: "لم يبق منهم في المقهى إلاّ نذّار السّفاية، إنّه الشّخص الوحيد الذي لم يهجر كرسيه البلاستيكي" وهذا يحيلنا بداية على مفاهيم الصمود والرفض ودلالة السيطرة والهيمنة، ولأنّ مفردة السفاية تنصرف إلى معاني الاندثار، ومن ثمّ فالموسم إلى زوال، والمتعارف عليه ـ في غالب الأحيان ـ أن يرد العنوان الأوّل في الطّليعة ـ على نحو بارز ـ ثمّ يرد العنوان الثّاني متفرّعا عنه، كي يوضّح أو يخصّص، أو يحدّد، أو يصل لاحقا بسابق، ومثل هذا كثير في مجالات العنونة، فكيف ـ في هذه الرّواية ـ بعنوان فرعيّ يرتقي إلى منزلة عالية في الإبلاغ عن مقاصد الدّلالة في الرّواية؟ عبر حقيقة اللّغة وعبر بلاغتها وما تصدره من مجاز اتها وإيحاءاتها الصّعبة صعوبة "الدّروب المتقاطعة" الوعرة وتكشف انكساراتها ومخاطرها المتقاطعة؟ وهنا مكمن البؤرة الأساس للرّواية، إذ نرى أنّ العنوان الثّاني، الفرعي استطاع أن يَشِيَ بما فيه الكفاية «فغدت بنيته ذات خصوصية محدّدة جعلت من العنوان نصّا مصغّرا ،يحمل في ذاته عناصر فرادته »[12] فاستحوذ على قدر كبير من حقيقة ما يريد الرّوائي تسريبه «فهو مفتاح الدلالة الكلية التي يستخدمها القارئ النّاقد مصباحا يضيء بها لمناطق المعتّمة في النّص والتي يستعصى فهمها إلاّ من خلال العودة إلى العنوان »[13].

تجنيس النّص :

بدا عمل مفلاح على درجة من التّنسيق المطبعي الجيد،أولى فيه عناية للشّكل البصري فنسّق نظام الفقرات والحوار، ورتّب ما وظّفه من أشعار،وأطّر بعض العامية القليلة،وأتقن مقاييس السّرد، ووفّر معايير النّوع الذي يُعرف به جنس الرّواية بوصفها أيقونة إبداعية لها عالمها الخاص الذي يستهوي قرّائه «والرّوائي هو فنّان له القدرة على الخلق ،خلق الهامش الجميل الذي نهرب إليه إذا استفحل الدّاء وقتلتنا رتابة الحياة

---

[12] عبد المالك أشهبون،العنوان في الرّواية العربية،محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع،سورية دمشق، ط1 ،2011، ص 75 .

[13] عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر و التوزيع، مصر، ط1، 2000.

ونمطية عيشنا »[14] وهذا ديدن محمد مفلاح في رواياته وديدن غيره من الروائيين العرب الذين هم من طينته «فمنذ سنوات والرّواية تعقد الصّلح مع لغتنا العربية وحروفنا العربية ومخيالنا وأشيائنا المشتركة حتى بدا وكأن القراءة والكتاب هما في الحقيقة ما يوحدنا كعرب وليس شعاراتالسياسة وأحلامالايدولوجيا»[15]وقد أوعزت رواية مفلاح إلى هذه المعاني العميقة التي فيها السياسي والفكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ... وما شئت من دروب الحياة.

التّبئير الفكري:

محمد مفلاح كاتب روائي من الطّراز الوطني الصّرف، حنّكته التّجارب الاجتماعية المتراكمة، والخبرات السياسية المتعاقبة، فخَبِرَ تحوّلات بلده، وفقِهَ التّطورات التي حصلت له، بمراقبة دقيقة وصرامة لصيقة ـ بحكم وظائفه من جهة، وبحكم مجايلته للأحداث من جهة أخرى ــ فلم يغفل طورا من الأطوار ، ولا ظرفا من الظروف إلاّ طالته آلة السّرد، وفحصته عين الكاتب، ومن ثم تغدو الكتابة لديه احترافا إبداعيا متقنا والتزاما مهنيا واعيا، فالمتفحّص لرواية "سفاية الموسم" إذ رام الغوص نحو أفكارها المخبوءة، ومعانيها المستترة يُلفِي صاحبها قد وضع بين يدي قارئه كثيرا ممّا كان مؤجّلامن الاحتمالات المتحرّكة عبر أفكار ا ستشرافية متوتّرة تسابق الأيام في عاجلها وآجلها، وكأنّه يطلّ على مستقبل الجزائر من نافذة خاصّة، فعرف كيف يصل إلى « وصف المسكوت عنه في المجتمعات العربية، والفسادالسياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومعاناة الفئة المهمشة وأسباب التهميش، ووضع المرأة في المحتمع العربي عموما،والنّفاق السياسي والدّيمقراطيةالمزيّفة، والحقوق الضّائعة للفئة المهمّشة »[16].

---

[14] ندوة الرّواية العربية والنقد،،الدار العربية للعلوم ناشرون كانون الثاني2010، ص.11

[15] بشار شبارو، ندوة الرّواية العربية والنّقد ،ص9 .

[16] عبد الرحمن الصوفي ،إطلالة نقدية ذرائعية موجزة على المجموعة القصصية (وصف ما لا يوصف لكاتبها المغربي مجد الدين سعودي ،حركة التصحيح والابتكار والتجديد في الأدب العربي https://hmidabalbalihttpabdosoufiblogspotcom201808hmidabalbalihtml.wordpress.com/2019/08/13/

الاحتمالات المتحرّكة والتّجربة الأدبية الإبداعية :

هندس الرّوائي محمد مفلاح رواية "سفاية الموسم "عبر" كرونوطوب" يستغرق أربعا وعشرين محطّة، ينتقل القارئ عبر هذه المرتكزات السّردية ووفق نقاطها الإيشاريةمسترشدا بحضور مكثّف للعديد من الشّخصيات ـ الذين كانوا في الأصل تلاميذ وأصدقاء وزملاء دراسة في "ثانوية حي تلمينة،" ولم يكونوا يعلمون أنّهم سيتحولون إلى أعداء في لاحق الأيام، حيث تستحوذ كلّ من هذه الشخصيات على مرحلة هامّة من الرّواية بدْءاً بشخصية (خليفة السّقاط وانتهاء عند علي المريرة، مرورا بهشام الكعام و نذّار السفاية ونسيمة الرّواسي ووالدها وآخرين ...) إذ تتداعى مرايا الواقع الجزائري كاشفة مع كلّ شخصية، وفي كلّ محطّة دربا من الدّروب المحمّلة بأعباء التّعب الإنساني، وأثقال الهمّ الاجتماعي، و"سفاية الموسم "نصّ روائي سياسي اجتماعي ،يغطي مرحلة الانقلاب والتّحول الذي عرفته الجزائر بعد مرحلة العشرية، و يسّلط الضّوء على التّحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية كذلك، والتي جرت وقائعها في المجتمع الجزائري في حقبة أحداث أكتوبر من عام 1988 وما بعدها، ويتعرض إلى العشرية السّوداء، و تحكي الرّواية مظاهر التصدّع و صور الإفلاس، نتيجة الفشل الذّريع الذي عمّ الجزائر، ومن ثم جرد الأحداث والوقائع المصاحبة للمسالك الصّعبة، لأنّها أفرزت واقعا غريبا وجيلا مضطربا ،ومجتمعا طبقيا، وإيديولوجيات متصارعة وأناسا استغلاليين ليسوا من طينة الشّعب الجزائري في شيء، وتضطلع الرّواية بنقل تفاصيل ثورةالشّباب، وتصوير احتجاجاتهم المنتفضة ضدّ أشكال الحقرة، وأنواع الفساد في تلك الحقبة، التي انزلقت فيها الجزائر فانتقلت من النّظام الاشتراكي نحو النّظام الرّأسمالي.

ونلاحظ ذلك في المقطع... "سيارة بيجو بيضاء ترتطم بالرّصيف، ثم تنحرف نحو جدار مقر البنك، وبعد مناورات صعبة تمكن سائقها من توجيهها نحو الشارع العريض (.....) ابتعدوا إنهم قادمون. إنهم قادمون... احرسوا محالكم...) ... (أغلقت المتاجر والمقاهي وجرى بعض الرجال نحو المسجد وقاعة المسرح القديم والمقاهي المحاذية لساحة الوئام)

(الحناجر تهتف بحماس وعنف: بركات بركات .تسقط المحاباة. بركات بركات ...يكفينا تلاعبات..اسمعوا يا مسؤولين السكنى للمحتاجين)[17].

ممّا أدخل الشّعب الجزائري في نفق مظلم، حيث فقد الثّقة في كلّ شيء في يومياته العسيرة، وتحوّلت أيّامه إلى جحيم في غياب العدالة،وكثرة المظالم،وانتشارالبطالة،وصور الفقر،فتدنّى مستوى الأخلاق، وساءت الأوضاع ،وتراكمت الأزمات، وممّا زاد من احتقان الوضع، تدخل رجال الأعمال وأرباب المال، وفسادالمسؤولين والمنتخبين أيضا، واستغلالهم للمناصب خدمة للمحاباة، وتفشّي الرّشوة، فتمّ الاستيلاء على الكثير من أملاك الدّولة، قضاء لمصالحهم الشّخصية. فكان لهذا الاختلال الأمني، والاضطراب الاجتماعي، وما صاحب ذلك من تحوّل، ترجمة واقعية وحقيقية للانتقال من مفاهيم العهد الاشتراكي إلى هيمنة الرأسمالية.

كما يبرزه المقطع الآتي (" .. أمّا هو (خليفة السقاط) فقد نجح في الحياة وصار ثريا، غامر فحقق أشياء كثيرة، إنهم يحسدونه لقد ولّى زمن البقرة الحلوب، وأقبل عهد جديد حقّق فيه كلّ طموحاته استفاد من أموال الدّعم الفلاحي (.....) لقد بدأت مرحلة جديدة انتخب فيها رجال سياسة لا يعرفهم، كما ظهر رجال أثرياء جدد اشتروا العقارات والسيارات وفتحوا المحال التجارية في أحياء المدينة ومنهم من يسعى لبناء مصانع ضخمة في منطقة الطّين".[18]

الخلفية الأخلاقية:

تتمظهر على مساحة الرّواية تقاطبات متواجهة متجابذة متجابهة تبلغ حد الصّراع في شكل ثنائيات ضدية، تنتج حلقات مسلسل المواجهة فيها نفر من الزمّلاء والأصدقاء والأعداء أبناء المؤسّسة التربوية الواحدة(ثانوية حي تلمينة) التي جمعتهم صغارا ولم تقدر على جمعهم كبارا، لأنّ مدرسة الحياة كانت أقوى، وظروفها أصعب، فلم تفلح منظومة القيم الهشّة، والأخلاق المتصدّعة في الإبقاء على رباط المودّة الذي

[17] محمد مفلاح،رواية سفاية الموسم (الدروب المتقاطعة)،دار القدس العربي،بلقايد وهران،2016،ص8،ص 9

[18] محمد مفلاح،رواية سفاية الموسم (الدروب المتقاطعة)،ص 6/5.

كان سائدا بينهم أيام التّصابي والطفولة البريئة، قبل أن تعصف به الأيام المقبلة والمتقلّبة. جاء على لسان نذار السفاية "بالأمس كنا يدا واحدة، وكان يجمعنا حلم كبير،أما اليوم فقد تفرقنا بسبب الأطماع.... ذهبت الأيام الجميلة ولن ترجع أبدا"[19] ومن هذا المنطلق، يلفي القارئ في الرّواية مشهدا يلخّص مفاهيم الو طنية والانتماء والإخلاص والنّضال والوفاء والتّضحية، فيستبين الايجابية والنّبل وانتصار الأخلاق في شخصية "نذار السّفاية" الذي يصفه الرّاوي"كان مهموما وحائرا، البارحة لم ينم إلاّ وقتا قصيرا، قرّر نذار السّفاية مجابهة الوضع مهما تكن التّضحيات،واتّصل بزملائه النّقابيين وحثّهم على التّضامن ورصّ الصّفوف..وصار العمّال على كلمة واحدة،وقالوا بحماس:نحن معك"[20].

فتجلّت في المقطع مظاهر النّضال والوطنية الحقّة ،والمواقف النّبيلة الدّاعية إلى البناء والحفاظ على ممتلكات الشّعب وتجاوز الضّائقة الأخلاقية. وفي المقابل يتعرّض القارئ في مشاهد أخرى إلى خلاف هذا كلّه جملة وتفصيلا، حيث يغيب الوازع الخلقي،وتغيب معه المفاهيم الايجابية السابقة. "دخل مروان المكّاس خمارة الدّيك الرّومي المرمّمة ... أشعل سيجارة مالبورو،ثم نفذ الدّخان في عتمة زاوية الخمارة، وتناول البيرة الباردة... أفرغ مروان المكاس البيرة في جوفه ، وتفحّص وجه صاحبه المنتفخ. وقال له: لقد فشلت في كلّ شيء. ..لا تفشل يا رجل. استعد لمساندتي في الانتخابات القادمة.... تخليت عن الحزب السّابق وسأرشح نفسي في تنظيم جديد."[21] وليس بخاف على قارئ الرّواية أن مثل هذا التّقاطب المترجم في سلسلة الثنائيات المتضادة يكرّس منذ البدء إلى النّهاية صراع الخير مع الشرّ، ولذلك يفلح مفلاح في ترشيد أحداثه نحو مسلك سويّ، نهايته آيلةٌ إلى زوال الفساد وأهله،أمّا نذار السفاية فالطريق أمامه طويل " لم يبق في المقهى إلاّ نذار السّفاية... . سأبحث عن أيّ حلّ "[22].

---

[19] رواية سفاية الموسم، ص126.

[20] رواية سفاية الموسم، ص15،ص16.

[21] رواية سفا ية الموسم، ص87،ص88.

[22] سفاية الموسم، ص126.

الشّخصيات::

يتفاعل في رواية "سفاية الموسم "عدد غير قليل من الشّخصيات، اجتهد مفلاح في تنميط ملامحها وفق رؤية واقعية منسجمة ويوميات الواقع الجزائري،خاصّة في الجهة الغربية للوطن، فيختار لها من الأسماء مثل (خليفة السقاط،نذّار السّفاية، نسيمة الرّواسي، هشام الكعام، محمد المريرة،صالح الوهبة، ميلود النعماني، الدّيك الرومي، مروان المكاس، حميد التواقي، جمال الكشاني، سكينة الصّقلي، جلول المنصور القهواجي، فريد السينكو إلخ....)، وقد صاغ محمد مفلاح أسماء الشّخصيات على نحو يتعمّد فيه إلحاق الأسماء بالنّعوت والصّفات ذات الأغراض المتنوّعة فربما أفاد النّعت تعْلية شأن أو حطّ منزلة، أو رام مدحا أو تحقيرا وقدْحا، كما يُراد بذلك أحيانا ربط الشّخصية بالمنصب و الوظيفة أو المهنة التي يقوم بها ،واشتهر بها بين النّاس، وما أكثر المهن التي تداولها الناس أكثر من أسماء أصحابها!.

يتعامل مفلاح مع منظومة من الألقاب الاجتماعية ،ويستثمر فيها ثقافته فتبدو مسانيد إضافية، ومفاتيح مساعدة، حيث يركّب أسماء الشّخصيات من اسم مضاف، يليه مضاف إليه من قبيل (خليفة السّقاط، على المريرة، مروان المكاس، ومنصور القهواجي، فريد السينكو...) وهذا شائع ومتداول بكثرة في مجتمعنا «وأسماء الشّخصيات الرّوائية بحدّ ذاتها لا أهمية لها، وإنّما تكمن أهميتها فيما تفسّره وتؤوّله من دلالات متنوّعة الحقول من شأنها أن تعمق وعي المتلقي بالمعاني الإستراتيجية التي يولّدها الخطاب الرّوائي ككلّ، فالاسم يفسّر طبيعة الشّخصية الرّوائية، يفسّر موقعها في السُّلّم الاجتماعي، ويفسّر دلالتها على الحدث الرّوائي الذي جاءت في سياقه بالنّفي أو الإثبات، ويفسّر منزعها واتّجاهها الإيديولوجي »[23].

خليفة السّقاط: صورة للبرجوازية المادية النّاشئة والإقطاعية الحديثة ، شخصية انتهازية ،استفاد من أموال الدّعم الفلاحي بطرق ملتوية،له نفوذ على مستوى البلدية ،وبتواطؤ هشام الكعام (المير) استغلّ الظّروف لجمع ثروة طائلة "بعد إيفاد لجنة

[23] عثمان بدري،وظيفة اللّغة في الخطاب الرّوائي الواقعي عند نجيب محفوظ،دراسةتطبيقية،عاصمة الثّقافة العربية ،موفم للنّشر والتّوزيع،الجزائر 2007،ص51.

التّحقيق،يمثل أمم القاضي للتّحقيق و في النهاية يدخل السّجن.لاحظ المقطع" أما هو (خليفة السّقاط) فقد نجح في الحياة وصار ثريا...غامر فحقّق أشياء كثيرة ...حقّق كلّ طموحاته،استفاد من أموال الدّعم الفلاحي، صرف بعض مبالغها في غرس أشجار البرتقال، وما تبقّى منها اشترى بح حافلة لنقل المسافرين .... اشترى فيلا بحي تلمينه، وشرع في صنع الآجر والبلاط في مخزن مستثمرته الزّراعية.....ماذا جرى لخليفة؟ أدخلوه السجن، تحدثت عنه جرائد هذا اليوم.....[24].

نذّار السّفاية:

نموذج الرّجل النّقابي، والمناضل الوفي لانتمائه الحزبي (جبهة التحرير الوطني) يعمل على حماية الإنتاج الوطني والدّفاع على حقوق العمال و مؤسّسات الدّولة، حفاظا على القطاع العام ضدّ تهديد الخوصصة لأملاك الشّعب،لكنّه يخسر الرّهان مع الوقت لأنّه يبحر ضدّ تيار عنيف، ولم يقدر على مواجهة صدمات الخريف الجاف المقيت، سفاية الموسم .لاحظ المقطع الآتي يظهر فيه جليا " توقفت شاحنة مؤسّسة " الشتوية" عند زاوية الشّارع الكبير ،فالتفت نذّار السّفاية إلى السّائق قائلا بفتور: سأعرض أمر الشّركة من جديد على مسؤول الحزب. علّق السّائق قائلا لزميله النّقابي: ستقتلك هموم الشّتوية. اهتم بنفسك يا رجل... تابع نذّار باهتمام البرنامج الذي بثته قناة التلفزة عن شركة الشتوية لصنع الأغطية القطنية،... سمع خبيرا في الاقتصاد يوصي بخصخصة كلّ المؤسّسات العمومية ...شعر أنّ الشّتوية ستواجه قريبا لحظة الغلق والبيع في المزاد العلني "[25].

هشام الكعام: رئيس البلدية (المير) وصل إلى المنصب بتزكية قدماء الحزب الواحد، يعمل رهن إشارتهم، ويطبّق تعليماتهم، ويرعى مصالحهم، ويعطيهم الأولوية في كلّ شيء ضمانا لبقائه على كرسي البلدية، ومن ثم تمّ توريطه فاصطدم بانتفاضة الشّعب والمطالبة بتنحيته ومحاسبته بإيفاد لجنة وزارية للتّحقيق في الأموال، فهو صورة للنّظام الجائر القائم على المحسوبية و المحاباة، وامتلاك المال الفاسد، ساءت أخلاقه فلقي حتفه

[24] محمد مفلاح،رواية سفاية الموسم (الدروب المتقاطعة) ص5،ص14.ص120.

[25] الرّواية، ص15.

برصاصة من مسدسه وهو في بيته. لاحظ المقطع" مرّت عهدته الانتخابية بسرعة، بعدما أفسدت عليه كلّ شيء وبخاصّة علاقاته بأقاربه وأصدقائه وزملائه..... منذ انتخابه بالمجلس البلدي صار محلّ انتقادات النّاس اللّاذعة لم يعد يطيق الاستماع إلى مطالبهم ... السّكن الاجتماعي، وقطعة الأرض والمحل التّجاري ومنصب العمل والصّفقة التّجارية ومشروع البناء..... .وبّخه رئيس الدّائرة وحمّله المسؤولية.... لامه الحبيب الرّواسي الذي أراد أن تستفيد ابنته نسيمة من سكن اجتماعي... فقال هشام الكعام :أنت رجل محترم وفضلك علي كبير، قرّرت أن أدرج اسمها في القائمة خلال فترة الطعون ...ص26... تأكدت شفيقة من صحة المكالمة الهاتفية،صاحبتها أخبرتها عن علاقة هشام الكعام بسكينة الصقلي خدعها الزّوج... ص 105 ... البارحة قتل هشام الكعام ،وجدت جثته في حمام فيلا حي تلمينة...قتل برصاصة اخترقت رأسه والمسدس كان للمقتول، الشكوك تحوم حول شفيقة طليقة القتيل...ص128 ... ألقي القبض على زبير البحار وسكينة الصقلي .. عل قتل الكعام وسرقة أمواله وحليّه...ص130[26].

نسيمة الرّواسي: نموذج الفتاة بنت الأكابر،بنت المسؤول الجهوي القديم "الحبيب الرواسي"دائم النّفوذ،وعلى الرّغم من أنّها لم تكمل دراستها إلاّ أنّ والدها وظفها في إدارة الأرشيف، تعيش علاقة عاطفية فاشلة وغير متكافئة مع خليفة السّقاط، عدوّ والدها، يتركها السّقّاط ويغيرها بأخرى "فطومة ابنة ميمون الكفيف" تتعالى نسيمة على محمد المريرة زميلها القديم في الدّراسة لفقره، ودخوله إلى السّجن خلال فترة الشّغب، وتتطلّع إلى غيره لكنّها تفشل في الاهتداء إلى طريق السّعادة وتكره الوظيفةوعالم الشغل.

محمد المريرة: شخصية محدودة اجتماعيا ،يمثّل الطبقة الكادحة،فهو ابن فلاح بسيط لم يفلح لا في تعليمه، ولا إقناعه بالعمل معه في الأرض، فشل في الدّراسة، تعلّق بكرة القدم ضلّ يحلم بالنّجومية فتبخّرت أحلامه ولم يحقّق شيئا، تأثر أثناء مراهقته بتخلّي نسيمة الرّواسي عنه، فكر مرارا بالهجرة السريّة مثل الكثير من أمثاله. لكن بدون جدوى، تطول خيبة أمله في الحياة، وفي النهاية يتغير وضعه خلال اللقاء بفتاة مهاجرة(دليلة)ويشتغل في

[26] الرّواية ،ص25،ص26،ص 105،ص128،ص 130

التجارة ويكبر اجتماعيا...لاحظ المقطع " رفض محمد المريرة أن يصبح خضارا مثل أبيه، لن يقضي حياته كلّها وراء عربة كرو قديمة يجرها حمار أشهب، ألقى نظرة حزينة على والدته المتعبة، وأطلق تنهيدة عميقة... ص33.. قرر أن يهجر البيت يريد أن بصبح لاعبا شهيرا ... يعتقد أنه خلق لكرة القدم... عجز عن مواصلة تعليمه بثانوية حي تلمينه... انفجر شهر أكتوبر 1988 بأحداثه المرعبة ....شارك في مسيرة احتجاجية ... وردد شعارات لم يكن يفقه معناها..ثم أقبل عهد جديد لم يحقق فيه شيئا من أحلامه، تبخرت كل آماله حين رفضت نسيمة الرواسي أن تردّ عليه تحيته، لوت رقبتها وكأنّها تقول له ابتعد عنّي... ص34 بعد أحداث أكتوبر وضجيج الإصلاحات ،نظمت الانتخابات،وتلتها العشرية السوداء وطّد علي المريرة علاقاته بتجار كبار التقى بهم في أسفاره إلى سوريا وتركيا واسبانيا .صار شريك مراد الرواسي في كلّ شيء ...قرّر الزّواج من دليلة ...سأتزوج دليلة ،وسنغادر الوطن في بداية شهر جانفي.

***-صالح الوهبة** : الرّجل الأعرج بطيء الكلام،والموظف المثقف بمديرية الأرشيف رفقة نسيمة الرّواسي،لم يفلح في الزّواج في الوقت المناسب ،يعول عائلة كثيرة العدد،مختلفة الأطياف (منهم السّجين ،البطّال ،العانس ، الإرهابي..) فهونموذج الأخ الأكبر المضحّي اجتماعيا،كان صديقا وفيا لمحمد المريرة ،لم يستفد من سكن ولا من أي امتياز،عايش العشرية السّوداء،لكنه سيعيش وضعا أحسن في سنواته اللّاحقة ويتزوج ياسمين العانس كاتبة سرّ مديرية الأرشيف، وينتقل للعيش معها في شقتها. لاحظ المقطع(...يحترمونه لثقافته الواسعة ،وتفانيه في العمل...لم يتراجع عن موقفه حتى وافقت اللجنة الولائية على منح موظفي المديرية سكنات ....ولم يستفد هو من أيّ سكن لأنّه لم يكن متزوجا ...ص43....بعد أحداث أكتوبر استقال صالح الوهبة من الحزب العتيد،وانضم إلى حزب جديد علماني التّوجه....ص 45 ... تزوج ياسمين وانتقل إلى شقتها بحي العمارات الصّفراء.. "[27]

[27] سفاية الموسم، ص43، ص45،ص124.

ميلود النعماني: نموذج فاسد متحايل ،ليس له صديق مقرّب، مصلحي، أناني يلعب على الإطاحة بأعدائه . .. لاحظ المقطع (اغتبط ميلود النعماني كثيرا يوم سمع بالنزاع الحاد الذي نشب بين خليفة السقاط وهشام الكعام،مرت مدة وهو ينتظر مثل هذه الفرصة ...لم ينس اليوم الذي أهانه فيه خليفة السقاط أمام زبائن مقهى الصّمودلقد خاطبه قائلا: أنت وحش،دمّرت حياة فطومة اليتيمة . ..قطع ميلود النعماني علاقته بجماعة مقهى الصّمود ،وبعد أسبوع واحد تزوّج فطومة ....ثم عاد إلى خمارة الدّيك الرومي..[28]

مروان المكاس: شخصية سلبية للغاية، وصورة أخرى لميلود النعماني الذي تربطه به علاقة فاسدة في الخمارة، وهو مادي استغلالي ،وخائن لزوجته سكينة، التي حاول الاستيلاء على ذهبها، يعمل في مديرية المنازعات يختلق الأعذار،ويسافر إلى العاصمة رفقة عشيقته "ميرة التواقي" ويعدها بالزّواج، في الوقت الذي تخونه زوجته سكينة الصقلي مع هشام الكعام، فيفشل في كل شيء وينتحر في النهاية حيث يرمي نفسه أمام القطار، فيغدو جثة ممزقة على قضبان السّكة الحديدية.

لاحظ المقطع (ألقى مروان المكاس ملفا ضخما على الكرسي...حين دخلت سكينة حاملة صينية القهوة،تنهّد قائلا: متى تختفي هذه المصيبة من البيت؟... كراهيته لزوجته ازدادت منذ الشهر الماضي، انقطعت علاقته بها بعد أن قرّر المغامرة مع عشيقته ميرة التواقي، زميلته بمديرية المنازعات،لقد أقنعها بمرافقته إلى الجزائر العاصمة.... قرر أن يطلق سكينة بعد عودته من العاصمة... ص62...دخل مروان المكاس خمارة الديك الرومي.. بدت له وجوه الحاضرين شاحبة مخيفة، شعر بأنه غريب في هذا العالم البارد... غادرت زوجته البيت، خدعته ميرة التواقي التي رضيت بالزواج من ابن خالها .... سكينة الصقلي ستفرح كثيرا بحكم الطلاق، كما ستسعد لحزنه العميق ... لقد فشلت في كلّ شيء .. رغم شهادتي العليا في الاقتصاد... أردت أن أخلو بنفسي ...ص89... كما حدّثه عن انتحار مروان المكاس)..[29]

---

[28] سفاية الموسم، ص51

[29] سفاية الموسم، ص124.

وعلى لسان مروان المكاس وقبل انتحاره نقرأ في الصّفحة 117 من الرّواية خلاصة النّهايات التي تؤول إليها الأحداث و وأبطالها، فيقول بيأس" ولّى عهدنا... أجل... ولّى عهد المودّة والصّدق والصّفاء، وأقبل زمن تفرق فيه الأصدقاء الذين جمعهم مقهى الصّمود،وحلم الحياة السّعيدة ...هشام الكعام متابع من طرف لجنة التفتيش، ستدينه لا محالة ...جمال الكشاني غادر المدينة جريا وراء حلم الكتابة والصحافة، محمد المريرة تحوّل إلى تاجر في كل شيء، نذار السفاية النقابي المتعب غرق في مشاكل الشتوية المعروضة للبيع، خليفة السقاط الفاسد مهدّد بعقوبة السّجن، صالح الوهبة الأعرج سيتزوّج ياسمين العانس، زبير البحار انضمّ إلى جماعة مراد الرّواسي ،وأنا الشقيّ تائه ."[30] لقد صوّر المقطع النهاية المأساوية الّتي لاقاها أولئك السّياسيون الفاسدون في آخر المطاف،فكان مصيرهم إمّا السّجن وإمّا الموت (الانتحار).

الصراع : الحقيقة أنّ قارئ الرّواية لا يجد عنتا كي يستبين أنّ الصراع صراع خير ضدّ الشّر والفساد، صراع قوى الخير (من عدالة اجتماعية وسياسية واقتصادية) ضد قوى الشّر ومعاول الهدم والفساد (من ظلم وجور وعدوان) هذان العنصران هما البطلان الحقيقيان الرئيسيان في "الدّروب المتقاطعة"، فالمعركة قائمة على أشدّها بين النّظام المسيطر المهيمن، والطبقة الكادحة المسحوقة، صراع يصعّد مسرح الأحداث حتى تبلغ الذّروة (العقدة)، ثمّ ينقلب نحو الهبوط والانفراج، معلنا انتصار الخير على الشّر، فلا يتمظهر التّوتر، ولا يتجلىّ الصّراع في رواية "سفاية الموسم " فقط بوصفه صورة لواقع الناس مصطدمة مع نفسها، ومنقلبة عليها تأثّرا بملابسات الحياة، وتناقضاتها،ولكنه يتصاعد ويتجلّى في ذوات الأشخاص ،ويترجم في سلوكاتهم أيضا، فبموجب الصراع تتحرك عجلة الأحداث، وتتأزم أوضاع الشخصيات، ممّا يكشف أنّ الأزمة كبيرة وعميقة، فهذا الصراع الذي« هو التّدفق الحركيّ المتصاعد الذي يعمل العناصر الدرامية المتفرقة والمتباعدة، فإذا هي تتقارب وتشتبك وبعد ذلك تصطرع، ثم تبلغ الذّروة في العنف، ثم تنحدر إلى الحلّ » [31]

---

[30] سفاية الموسم،ص116،ص171.

[31] مجموعة نقاد،توفيق الحكيم الأديب المفكر الإنسان،وزارة الثقافة ،المركز القومي للآداب ،القاهرة،1988،ص14

وقد تعدّدت مظاهر هذه الأزمة، فغدت أزمة ذات، وأزمة إنسان، وأزمة بلد بكامله، فكيف بالصّراع لا يبلغ مداه ؟ في الوقت الذي لم تعد الأنفس تطيق ذواتها؟ وفي ما يلي نماذج لأوجه متعدّدة من الصراع، ومرايا محدّبة للمعارك النّفسية، نقف عليها في المقاطع التالية: « أحسّ خليفة السقاط بنسمات باردة تقرص أنفه المعقوف... اتّجه بخطى سريعة إلى سيارته.... كان قلقا جدا... ضجّ بمشاعر الضّيق والقلق.... كاد ينفجر في وجه المدير ...وهمس خليفة السّقاط بغيظ: الدنيا بنت الكلب... ص3،ص4...»[32] صوّر المشهد أول شخصية واردة في الرّواية وهي شخصية خليفة السقاط حين يصطدم بموقف يكبح رغباته، ويحاصر نزواته، حيث يُطرد فيقع في الحرج، ويمتلئ غيظا، ولم يطق تفلّتا، لذلك استشاط غضبا تعبيرا عن وضعه المريب .

وفي الموقف الثاني يظهر الصّراع الّذي تعيشه نسيمه الرّواسي بنت الأكابر، الموظفة الميسورة الحال والتي لم يشفع لها وضعها المادي للحفاظ على توازنها وهدوئها، حيث تسرّب اليأس إلى قلبها والقنوط إلى نفسها، فسيطر عليها القلق والاضطراب جرّاء تجربةحبّ فاشلةمع خليفة " السّقاط"، أسقطها هذا السّقاط في الحضيض، فغلطها خرّب حياتها و عزلها عن أمّها وأبيها وعن النّاس جميعا، فلزمت غرفتهاغارقة في ذكرياتها وهواجسها الّتي تؤرق حالتها النفسية كلّ حين، وتجدّد لها الألم كلّ لحظة، فنغّصت عليها حياتها، لا حظ المقطع« وفكّرت مرارا في الانتحار غبر أنّها لم تجد الشّجاعة لتنفيذ رغبتها.... »[33]

وفي الموقف الثّالث تتراكم الهموم بكلّ أنواعها لتجد طريقا لها أسرة محمد المريرة فتدمّرها عن كاملها، فالفتى محمد فشل في الدّراسة وهو عرضة للفراغ والأفكار السّوداء و التّفكير في "الحرقة" ووالده الفلاح الكادح لا يقدر حتى على توفير لقمة العيش...»[34]، وليست هذه النّماذج إلاّ وقفات عجلى من بنى اجتماعية وسياسية عديدة و معقدة في رواية الدروب المتقاطعة التي تتصارع فيها المتناقضات، وتتصاعد فيها الأحداث ،وتتعقّد فها الأزمات، ففي نشاط شخصية واحدة فقط مثل شخصية هشام الكعام إثارة تنعكس بالسّلب على كلّ شخصيات الرّواية يقول هشام الكعام «إنّني

[32] سفاية الموسم،ص3،ص4.

[33] سفاية الموسم،ص116،ص 22.

[34] سفاية الموسم،ص 35،ص36،ص37

مُرهق، لم أعد قادرًا على مُراجعة كلام النّاس... أخشى أنينهار كلّ شيء .... غيّرت حياته جذريا، إزداد خوفه من المستقبل القريب.... منذ إنتخابه» [35] .

لقد مثّلت الرّواية المجتمع كما يجب، وكشفت ـ عبر تقنية الصّراع ـ ظلمات بعضها فوق على بعض ناجمة عن فساد شخصية واحدة محورية مثل شخصية الكعام (المير) وهذا يعني أنّه «لا يُمكن أن نتصوّر رواية دون طغيان شخصية مُثيرة يُقحمها الرّوائي فيها إذ لا يضطرم الصّراع العنيف إلّا بوجود شخصية أو شخصيات تتصارع فيما بينها، داخل العملالسّردي، من أجل كلّ ذلك كنّا نلقى كثيرا من الرّوائيين يُركّزون على عبقريتهم وذكائهم على رسم ملامحالشّخصية والتّهويل من شأنها»[36] وهذا هو دور الرّواية الذي يغطّي مساحة من الزّمن الوطني والإنساني والحضاري كالذي أُنِيطت به سفاية الموسم.

الحوار:

آلية الحوار مكشاف حقيقي وظّفه "محمّد مفلاح" بفطنة وذكاء لتعرية المنظومة القيمية الأخلاقية التي طالها الفساد، من أحقاد وضغائن وحبّ المصلحة والتملّك والاستغلال، خلال فترة الانقلابات السّياسية، وفي الآن ذاته يبرز_جوانب من مختلف الإيديولوجيات الجديدة الطارئة على تركيبة المجتمع الجزائري من خلال الآراء المتعارضة،وعلى هذا الأساس « فالرواية ليست مجرّد أبطال يتصارعون، وأحداث تُروى، وسرد يقرأ لإزجاء وقت الفراغ. بل إنّ وراءها قيما وأفكارا محددة يراد لها الذيوع والانتشار، وإنّ كلّ التّقنيات المستخدمة في الرّواية، أدوات تُذاع من خلالها هذهالأفكار »[37] وفي طليعة هذه التقنيات "الحوار" إذ حاور محمد مفلاح قضايا جمّة منها ما هو سياسي وما هو اجتماعي وما هو اقتصادي ،وما هو ثقافي وأخلاقي وغير ذلك، وكان مقهى الصمود فضاء لحوارات ساخنة، شارك في تنشيطها جل الشخصيات، كما كان لخمارة الديك الرومي نصيبها من حوارات جلساء الخمر، بالإضافة إلى الحوارات الأسرية، والمكاتب الإدارية، ففي المقطع الآتي يسلّم الرّوائي الكلمة لصوت الشّعب بكل أطيافه

---

[35] سفاية الموسم،ص22، ص25

[36] عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية، بحث في تقنيات السّرد، دار عالم المعرفة ، الكويت،1998، ص 76.

[37] خضر محجر، تقنيات السّرد وأنماط الرّاوي (محتوى السّرد وأنماط الرّاوي)،عطيّة للنّشر والتّوزيع،غزّة، فلسطين،2014، ص 56.

لإدلائه برأيه حول الشغب الذي حدث:**قالكهل** يلفّ رأسه بعمامة توتية صفراء أنيقة:أعرفهم جيدا ...ليسوا من المدينة،قدموا من الأرياف والبوادي... واليوم أصبحوا أصحاب حق. يا للعجب.؟

تنحنح رجل يعتمر قبعة بيضاء صينية الصّنع وقال: حقا إنهم من سكان الحيّ القصديري، لكن بعضهم من أبناء المدينة الذين قست عليهم الحياة، وتعرضوا "للحقرة" والتهميش.... وقال شاب يتأبّط كومة جرائد: البلدية مسؤولة عن كلّ شخص يسكن في ترابها .دعونا من هذا التمييز المقيت. إنهم مثلك يحملون البطاقة الخضراء...جزائريون يا رجل ... وضحوا من أجل تحرير الوطن.

وتدخل خليفة السقاط قائلا بامتعاض: المشكلة في المنتخبين .هشام الكعّام هو سبب هذه الكارثة... كان من وراء تجاوزات خطيرة جدا.) [38] لقد أظهر المقطع، كما تظهره مقاطع أخرى كثيرة مشهدا سياسيا مشحونا بالغضب الاجتماعي أتى ردة فعل طبيعية وحتمية للأزمة المعيشية الخانقة، فتعدّدت الأصوات المتحاورة، ومسّت التّدخلات صميم الموضوع، حيث اكتفى الرّوائي بنعوت وأوصاف الشّخصيات وعدل في هذا الموقف عن إيراد الأسماء، فكأنه يختار ممثّلين للعديد من الشّرائح الاجتماعية، كشفت عن العوز الضّارب في الفئات التركيبة الاجتماعية الجزائرية .

وفي غير هذا الموضع بقي الحوار حديثا متبادلا بين الشخصيات بكل أطيافها وتنوّع توجهاتهاالفكرية والثقافية.

وللحوار بين شخصيات مفلاح وظائفه وشروطه ،فهو من ناحية سبيلٌ إلى بعث روح الحيوية والنشاط والمرح في الشخصية ،أو العكس، ومن شروطه أنه مناسب، وموافق للشخصيات من حيث المستوى ومن حيث الملامح العامة للأشخاص الذين يصدر عنهم .

"ظهر محمد المريرة في لباس رياضي أديداس.استقبل صديقه فرحا ،ثم جره داخل البيت قائلا له بسرور :أهلا بك اشتقت إليك يا رجل. قررت أن أهجر المقهى....ثم قال له:خطيبتي دليلة.والتفت إلى زبير البحار:صديقي البطال.....لقد تعودت دليلة على

[38] رواية سفاية الموسم ،ص 11.

العيش في مجتمع لا يعرف إلا الكدّ والجدّ....استعد ستشرع غدا في عملك الجديد.....مدّ زبير البحار رجليه وقال :أنا مستعد للمغامرة معك ولو في بلاد الوقواق"[39].

وفي مقطع آخر يقف القارئ على معاني حوار مخالف لهذه الإثارة والبهجة والسّرور، وإن كانت الشخصية هي ذاتها (محمد المريرة) ولكن المواقف تغيّر طبيعة الحوار: فها هو محمد المريرة يستقبل صاحبه مروان المكاس."

خاتمة:

- "سفاية الموسم" نموذج من أحسن روايات مفلاح وأقدرها على مكاشفة الواقع الجزائري بكلّ مراياه وصوره المتواشجة،فقد رصدت بجدارة والتزام ملابسات التحوّلات الّتي طرأت على البيت الجزائري، وهزّت أركانه، وكادت تؤدي به إلى النهاية لولا لطف الله بالجزائر وبأهلها. خلال أحداث أكتوبر1988، ثم العشرية السّوداء.

- كشفت منظومة الأسماء والشّخصيات في الرّواية عن صراع إيديولوجي خطير، أفرز تأثيرا سلبيا على المكان والزّمان والإنسان الجزائري.

- أبان التحليل عن ثقافة عالية غنية ومتنوعة لدى الروائي محمد مفلاح، وفي مقدمتها أنّه شخصية سياسية واعية محنكة.

- اتّضح من خلال التّحليل قابلية الرّواية للتّعاطي مع مستويات التّحليل الذّرائعي(الحوار، الشخصيات، الصراع...الخ والتي اخترنا منها بعضها.)

- التقنيات السّردية العالية في الرّواية تسمح للمحلّل بالتّعامل مع المقاطع دون خلل، وقد وقفنا من خلال هذه الصفحات على قدر معتبر من القضايا ذات الصلة بالعنوان ودلالته وتركيبه،و غلاف الرّواية، ثم الحوار ومستوياته ،والشخصيات وملامحها، والصراع و طبيعته ،فضلا عن جانب السيرة و التبئير،وغيره.

[39] سفاية الموسم، ص 97-99.